٣٥ - محمد الظاهر ٦٢٢ - ٦٢٣

بويع بعد وفاة أبيه ولم يطل أمره فانه توفى سنة ٦٢٣

الدرس الثلاثون

٣٦ المنصور المستنصر بالله ٦٢٣ - ٦٤٠

بويع بعد وفاة والده وفى عهده تسلم الافرنج ثانية بيت المقدس صلحا سنة ٦٢٦ لما كان من الخلاف والشقاق بين اسرة صلاح الدين الايوبى

وكان المستنصر حسن السيرة فى الرعية عادلا وهو الذى بنى المدرسة المستنصرية على شط دجلة من الجانب الشرقى مما يلى دار الخلافة وجعل لها أوقافا جليلة على أنواع البر

---

٣٧ - المستعصم بن المستنصر ٦٤٠ - ٦٥٦

بويع بعد وفاة أبيه المستنصر وهو الذى كان على يده انتهاء الدولة العباسية فقد كان وزيره ابن العلقمى وهو

والفضى يحب بنى على ويكره بنى العباس فأراد أن يحول الخلافة الى من يحبهم فأرسل الى التتار يطمعهم فى بغداد وكانوا قد استولوا على جميع البلاد الفارسية وما وراء النهر وغير ذلك ورتب الوزير الامر حتى لا تكون هناك مقاومة فجاء التتار وأخذوا بغداد وقتلوا الخليفة وأفسدوا فى بغداد افسادا لم يعهد فى أى التواريخ مثله فقد قتلوا من أهلها معظمهم لم يرحموا صغيراً لصغره ولا كبيراً لعجزه وأتلفوا ما كان بها من الكتب العظيمة ولم ير ابن العلقمى ما كان طمع فيه بل أهين ثم قتل وهكذا يجزي الخائنون

﴿ عموميات فى الدولة العباسية ﴾

كانت الدولة العباسية من أول أمرها قائمة على أيدى الموالى من خراسان وبلاد فارس فكان لهم فى أقامة معالمها الشأن الاول ولذلك كان منهم أعاظم الامراء والقواد كأبى مسلم الخراسانى وبنى برمك وغيرهم وكانت قوة الخلفاء فى أول الامر غالبة عليهم فاذا رأوا منهم قوة عاجلوهم وبطشوا

بهم فلما كثر هؤلاء الموالى استفحل أمرهم وصارت الخلافة بيدهم من غير قانون يرجع اليه فكان هذا بدء الانحطاط فى امر الدولة بعد وفاة المعتصم ثامن بنى العباس

وكانت هذه الدولة دولة العلم لانه فى زمنها كان الاختلاط بين العرب وغيرهم من الفرس والروم فترجمت الكتب فى الفنون المختلفة . قام بأمر ترجمتها مهرة الكتاب من المسلمين وغيرهم فاتسع نطاق العلم وكان للطب والفلسفة والهيئة الحظ الوافر من هذا التقدم

أما العلوم العربية فقد اشتهر فى النبوغ فيها الكثير من العلماء الاعلام كالخليل وسيبويه ومن قفا أثرهما فى النحو . وكتب سيبويه فى النحو كتابه المشهور الذى منه استقى جميع الكتاب فن النحو والصرف . أما فى اللغة فحدث عن تقدمها ولا حرج اذ كان الخلفاء يفيضون العطايا الواسعة على حفاظها وحفاظ آدابها. فهذا شاعر ينال على اجادته فوق ما ينال الوزير على وزارته وهذا راوية ينال من حسن حفظه وحسن إلقائه مالا يطمع فيه مثله . وقد كان الاصمعى وأضرابه وأبى نواس وأمثاله حظوظ

وعطايا نستعظمها نحن اذا ذكرت لانها انما كانت تعد بعشرات الالوف . فكيف لا ترتقى بعد ذلك اللغة ويكون لها سوق نافقة

كان للاغانى من الحظ فى زمنهم غاية فكان المحسنون من المغنين ذوى ثروة طائلة . ولم تكن أغانيهم كما هى عندنا الآن من السخافة وهجر القول بل كانوا يتفننون فيها يغنون بالشعر الحماسى والادبى وقليلا ما كانوا يغنون بالغزل والنسيب على العكس مما نحن عليه الآن فان اغانينا لا يفهم لها معنى وان فهم فهو هجر من القول . والاغانى إذا ارتقت ارتقت معها الاخلاق وإذا انحطت انحطت معها الاخلاق

أما العلوم الدينية فقد ارتفع فى زمنهم شأن الفقه والفقهاء وشاع اسم الائمة الاربعة المجتهدين الامام أبو حنيفة النعمان المتوفى سنة ١٥٠ والامام مالك بن أنس المتوفى سنة ١٧٩ والامام محمد بن ادريس الشافعى المتوفى بمصر سنة ٢٠٤ والامام أحمد ابن حنبل المتوفى سنة ٢٤١ ومن تلقى عنهم من الائمة الاعلام وكتبت الكتب العظيمة فى الفقه كما كتبت الصحاح التى

جمعت فيها أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم كصحيحى الامام البخارى والامام مسلم وغيرهما وكتب من كتب التفسير شيء كثير

وبالجملة فقد كان للعلماء القدح المعلى فى كل من الفنون ومعظم ذلك فى النصف الاول من تاريخ هذه الدولة أما فى النصف الثانى فقد ضعفت الهمم لما كان عليه الامراء من الاختلاف واستيلاء الاحقاد والاضغان على قلوبهم فلم يعودوا يلتفتون لتقدم العلم ولا مساعدة العلماء فكاد ينطفىء ذلك المصباح لولا ان كان يساعدهم الله سبحانه من وقت لآخر ببعض الامراء الذين يحبون العلم فيبذلون مساعدتهم فى اقامة أمور العلم ومساعدة طلابه

كانت الدولة العباسية فى القرن الاول من ملكها أكثر دول الدنيا مالا فقد كان جميع الاقطار الاسلامية تحت ملكها وعمرانه تام فكان الخراج يأتيها وهم يبذلون منه كثيراً لحاجيه فتتوزع الثروة بين أفراد الامة ويقل الفقر والحاجة فلما ابتدأ استقلال الاطراف وظهر الخارجون عليها بدأ الفقر

يغالبها حتى غلبها وحتى لم يكن للخليفة فى آخر الامر الا ما يتبلغ به

وكان شعار بنى العباس السواد فكانت عمائمهم سوداء وكذلك طيالسهم وهو الزي الرسمى فى المجتمعات العمومية وذلك لان النبي صلى الله عليه وسلم دخل مكة يوم الفتح معتما بعمة سوداء وردفه الفضل بن العباس

الدرس الحادى والثلاثون

تقدم فى تاريخ بنى العباس اسم كثير من الدول التى كانت لها سلطة ملك أو خلافة فى أيامهم ونحن الآن نورد فصلا مجملا فى بيان هذه الدول وكيف ابتدأت وانتهت ومكان نشأتها

الذين استقلوا بالاحكام فى عهد الدولة العباسية كثيرون ولكن منهم من لم تطل أيامه ومنهم من أورث بنيه من بعده ملكا وهؤلاء هم الذين نشتغل بهم ونبين مصاير أحوالهم

قام بالشرق فى عهد هذه الدولة أربع دول كبار منها ثلاث تغلبت على بغداد وصارت هى الحاكمة فعلا بالسلطة التى تستمدها من الخليفة ظاهراً فكأنها تفعل ما تشاء باسمه. سلطة شرعية لها اسم الخلافة وسلطة حاكمة لها اسم الملك من الخليفة قهراً عنه. وهذا مما يعد فى التاريخ شكلا عجيباً من أشكال الحكومة الاسلامية وكان سبب ضعفها أو اضمحلالها وذهاب بهجتها وضياع هيبتها

ولنتكلم عن هذه الدول الثلاث مرتبة بحسب استيلائها على بغداد ثم نتكلم على الدولة الرابعة

دولة بنى بويه

ثلاثة أخوة من الديلم على والحسن واحمد أولاد أبى شجاع بويه هم الذين أسسوا هذه الدولة

كان أكبرهم وأقدرهم علىّ يتولى الكرج لمرداويج الديلمى أحد المتغلبين على بلاد الرى فأحسن على إلى من يتولى أمرهم حتى أحبوه وكان ميالا الى الرفعة والعلو فذهب

الى أصبهان وملكها مع قلة جنده ولما بلغ ذلك مرداويج خشى عاقبة الامر فأرسل اليه جنداً ليأخذه بأصبهان على غرة فعلم بذلك على فسار عن أصبهان الى أرّجان فملكها واستخرج منها أموالا قوى بها

وفى سنة ٣٢٢ ملك شيراز وكان يعامل من يغلبهم بالحسنى ويبث بينهم العدل . ولما ثبتت قدمه بشيراز كتب الى الخليفة الطائع يعلمه أنه على الطاعة فأرسل اليه عهد الولاية . وفى سنة ٣٢٦ استولى أحمد بن بويه على الاهواز فأخذ عسكر مكرم وتستر . وفي سنه ٣٣٠ سار الحسن بن بويه الى الرى فملكها . هكذا كوّن هؤلاء الاخوة هذا الملك واقتسموه بينهم مع اعطائهم لقب أمير الامراء لاخيهم الا كبر على

وفى سنة ٣٣٤ سار أحمد بن بويه الى بغداد واستولى عليها وقابل الخليفة المستكفى بالله فولاه الخراج وجباية الاموال ولقبه معز الدولة ولقب أخاه عليا عماد الدولة ولقب أخاه الحسن ركن الدولة وأمر أن تضرب ألقابهم وكناهم على الدنانير والدراهم

ولما كان الذى يهمنا من هذه الدولة هو ماله تمام العلاقة بالخلافه العباسية ببغداد جعلنا الكلام عليها قاصراً على الاحد عشر الذين تولوا ملك بغداد غاضين النظر عن بقية من تشعب منهم واستقل بملك جهة من الجهات لان شأنهم ضعيف . وهذا نسق ملوك بنى بويه ببغداد

١ - معز الدولة

ظل معز الدولة مالكا ببغداد وهو كالنائب عن اخويه حتى توفي سنة ٣٥٦

٢ - بختيار بن معز الدولة

ولى امر بغداد بعد أبيه بوصية منه . وكان من أمر أبيه له أن يطيع عمه ركن الدولة ويستشيره فى كل مايفعل وان يطيع ابن عمه عضد الدولة لانه أكبر منه سناً وأقوم بالسياسة (وكان عضد الدولة يلى أمر فارس بعد وفاة عماد الدولة لانه لم يكن له ولد ذكر) وأوصى معز الدولة ابنه بختيار بالاحسان

الى الجند ولكن لم يفعل شيئا مما أوصى به واشتغل باللهو واللعب وأوحش المخلصين له وأبعد كبار الديلم عن مملكته شرها الى اقطاعاتهم وأموالهم وأموال المتصلين بهم ففسدت حاله وبالطبع فى مثل هذه الاحوال تسود الفتن ويقل أمن الناس على أنفسهم وأموالهم فسار اليه ابن عمه عضد الدولة وقبض عليه واستولى على بغداد فأنكر عليه ذلك أبوه ركن الدولة أمير الامراء وأمره برد بختيار الى ملكه ففعل وفى سنة ٣٦٦ توفى ركن الدولة فآلت مملكته الى ابنه عضد الدوله فاتسع ملكه ولم يبق من ينازعه فيما يريده فسار الى بغداد واستولى عليها وخطب له بها وهو أول من خطب له من بنى بويه على منابر بغداد وكانوا قبل ذلك لا يخطبون لاحد ونفى بختيار عن بغداد وذلك سنة ٣٦٧

٣ ـ فنا خسرو عضد الدولة

ولى بعد خلع ابن عمه بختيار ثم ملك الموصل من يد بنى حمدان ثم ميافارقين وآمد وغيرهما من ديار بكر ولعضد

الدولة آثار حسان فى بناء بغداد واعادة بهجتها اليها بعد أن كادت تخرب بتوالى الفتن عليها

وكان عاقلا فاضلا حسن السياسة كثير الاصابة شديد الهيبة بعيد الهمة ثاقب الرأى محبا للفضائل وأهلها باذلا فى موضع العطاء مانعا فى أماكن الحزم ناظراً فى عواقب الامور. ومن أجل صفاته انه لا يعول فى أمره الا على الكفاءة ولا يجعل للشفاعات طريقا الى معارضة من ليس من جنس الشافع ولا فيما يتعلق به. حكى عنه أن مقدم جيشه شفع فى بعض ابناء العدول ليتقدم الى القاضى ليسمع تزكيته ويعد له فقال هذا ليس من أشغالك انما الذي يتعلق بك الخطاب فى زيادة قائد ونقل مرتبة جندى وما يتعلق بهم وأما الشهادة وقبولها فهى الى القاضى وليس لنا ولا لك الكلام فيه ومتى عرف القضاة من انسان ما يجوز معه قبول شهادته فعلوا ذلك بغير شفاعة

وعمل عضد الدولة المصالح فى سائر البلاد كالبيمارستانات والقناطر وغير ذلك من المصالح العامة الا أنه أحدث فى آخر أيامه رسوما جائرة فى المساحة والضرائب على بيع الدواب

وغيرها من الامتعة ومنع من عمل الثلج والقزوجعلهما متجراً للخاص وكان يتوصل الى أخذ المال بكل طريق

توفى فى شوال سنة ٣٧٢

﴿ ٤ ـ المرزبان صمصام الدولة ﴾

ولى بعد وفاة أبيه عضد الدولة ولم تطل مدته الا ثلاث سنين فانه سار اليه أخوه شرف الدلة من الاهواز فقبضه واعتقله وأخذ الملك منه سنة ٣٧٦

﴿ ٥ ـ شيرزيل شرف الدوله ﴾

ولى الملك ببغداد بعد اعتقال أخيه. ومن معايبه أنه أمر بسمل عينى أخيه صمصام الدولة بعد اعتقاله. ولم يتمتع كثيراً بهذا الملك الذى هون عليه شنيع فعله فانه توفى سنة ٣٧٩

﴿ ٦ ـ أبو نصر بهاء الدولة ﴾

ولى بغداد بعد وفاة أخيه. خلع عليه الطائع وقلده السلطنة. وفى سنه ٣٨٠ طمع بمال الخليفة الطائع فقبض عليه بأن أرسل

اليه وسأله الاذن بتجديد العهد به فجلس الطائع على كرسى ودخل بعض الديلم كأنه يريد تقبيل يد الخليفة فجذبه عن سريره والخليفة يقول انا لله وانا اليه راجعون ويستغيث فلا يغاث.

وكان الشريف الرضى فيمن حضر ذلك فخرج يقول

أمسيت أرحم من قد كنت أغبطه لقد تقارب بين العز والهون
ومنظر كان بالسراء يضحكنى يافرب عاد بالضراء يبكينى
هيهات أعتز بالسلطان ثانية قد ضل عندى ولاج السلاطين

وأقام بهاء الدولة بملك العراق أربعا وعشرين سنة. توفى سنة ٤٠٣

﴿ ٧ ـ أبو شجاع سلطان الدولة ﴾

ولى الملك بعد وفاة أبيه وفى عهده ضعف أمر دولة الديلم ببغداد وطمعت فيهم العامة وكثر المبارون والمفسدون. وفى سنة ٤٩١ شغب الجند على سلطان الدولة فانحدر عنها الى واسط وترك بها أخاه مشرف الدولة فاستولى عليها وقد أراد بعد ذلك سلطان الدولة أن يسترجع ملكا ضيعه فلم يقدر

(٨ - أبو على مشرف الدولة)

استقر مشرف الدولة فى ملك العراق بعد أخيه وخطب له به فى أواخر المحرم سنة ٤١٢ ولم يمكث فى المملكة الا خمس سنوات فانه توفى سنة ٤١٦ وكان عادلا حسن السيرة وكانت سنه حين مات ٢٣ سنة . وبموت مشرف الدولة خلت بغداد من سلطان فكثر الفساد فيها نحوا من سنتين فاستدعى الجند بها أبا طاهر جلال الدولة

(٩ - أبو طاهر جلال الدولة)

فدخل بغداد سنة ٤١٨ وخرج الخليفة القادر لملتقاه وحلفه واستوثق منه واستقر ببغداد .

وفى عهده استفحل أمر العيارين ببغداد وصاروا يأخذون أموال الناس ليلا ونهاراً ولا مانع لهم والسلطان جلال الدولة عاجز عنهم لعدم امتثال أمره والخليفة اعجز منه وانتشر العرب فى البلاد فنهبوا النواحى وقطعوا الطريق . وفى سنة ٤٣٥ توفى جلال الدولة

(١٠ ـ الملك أبو كاليجار المرزبان)

ولاه الجند بعد وفاة أبيه وخطب له ببغداد سنة ٤٣٦ وهو الذى بنى سور مدينة شيراز وأحكم بناءه ودوره اثنا عشر الف ذراع فى ارتفاع ثمانية اذرع وله أحد عشر بابا. وفى عهده حصل بالعراق غلاء عظيم حتى أكل الناس الميتة ببغداد وخلت الاسواق مما يطعم. توفى أبو كاليجار سنة ٤٤٠

(١١ ـ خسرو فيروز)

ولاه جند بغداد بعد وفاة أبيه وطلب من الخليفة أن يلقبه بالملك الرحيم فأجاب على كره منه. وهو آخر ملوك بنى بويه بالعراق وبموته امحى اثرهم على يد السلطان طغرلبك السلجوقى

وهذه الدولة لم تفد الخلافة العباسية ولا المسلمين شيئاً بل زادت الخلافة ضعفا على ضعفها فضعف الامن واختلت السبل. على أن لها بعض الحسنات الداخلية فى بناء المستشفيات والمدارس. وكان بعصرها من العلماء البغداديين والفارسيين من كانت فائدتهم فى المسلمين عظيمة

الدرس الثانى والثلاثون

(الدولة السلجوقية)

كوّن هذه الدولة رجلان هما طغرلبك محمد وأخوه جغرى بك داود ولدا ميكائيل بن سلجوق وهما من أصل تركي من بلاد التركستان اعتنق جدهما سلجوق الاسلام وارتحل بمن تبعه من جنود الاتراك الى البلاد الاسلامية بما وراء النهر ولم يزل فى تنقله يختار مأمنا يأوى اليه هو ومن معه وتوفى فى هذه الحركات سلجوق ثم ميكائيل وآل أمر عشائرهما الى سلطة ولديه طغرلبك وداود فقاسيا الصعاب والمشقات مع الدولة السبكتكينية وغيرها من المتغلبين بتلك النواحى وأخيراً استوليا على بلاد خراسان وخطب لداود بمرو سنة ٤٢٨ ولقب فى الخطبة بملك الملوك ودخل طغرلبك نيسابور وسكن الشاذياخ وخطب له فيها ولقب بالسلطان المعظم ثم استولوا بعد خطوب شديدة على بلخ وهراة . وفى سنة ٤٣٣ ملك طغرلبك جرجان وطبرستان وفى السنة التى بعدها

ملك خوارزم ثم ملك الري وبلاد الجبل واتسعت مملكته فقد أخذ نصف ما بيد آل سبكتكين ومعظم ما بيد بني بويه

وكانت دولة بني بويه في ذلك الوقت في دور الاحتضار فصار طغرلبك ينتقص أطرافها ويستولي عليها شيئا فشيئا. ثم أخذ أذربيجان سنة ٤٤٦

وفي سنة ٤٤٧ امتدت سلطته الى بغداد فأخذها من الملك الرحيم آخر بني بويه وخطب لطغرلبك ببغداد في رمضان وهو أول هذه الدولة

وقد صاهرهم الخليفة القائم بأمر الله فتزوج ابنة داود أخي طغرلبك

وفي سنة ٤٥١ توفي جغري بك داود أخو طغرلبك صاحب خراسان وخلفه على ملكها ابنه الب أرسلان وطغرلبك هو الذي صاهر الخليفة وتزوج ابنته. وكان له صفات جميلة وأخلاق رذيلة فمن الاولى انه كان عاقلا حليما من أشد الناس احتمالا وأكثرهم كتمانا لسره كريما. ومن الثانية أنه كان ظلوما غشوما قاسيا وكان عسكره يغصبون الناس أموالهم وأبديهم

مطلقة في ذلك نهاراً وليلا . توفى سنة ٤٥٥

٢ ـ الب أرسلان محمد

بعد وفاة طغرلبك تم أمر الملك لابن أخيه داود وخطب له ببغداد سنة ٤٥٦ وكان مظفراً فى غزواته فملك كثيراً من بلاد الكرج ولم يرحل عنها حتى صالحه ملك الكرج على أداء الجزية . وله مع الروم واقعة هائلة فى نواحى خلاط هزمهم فيها مع قلة جنده وأسر ملك الروم ثم عفا عنه بعد أن افتدى نفسه

وكان الب أرسلان كريماً عادلا لا يسمع السعايات واتسع ملكه جداً وكان رحيم القلب رفيقا بالفقراء وكان يكثر الصدقة فيتصدق فى رمضان بخمسة عشر الف دينار ولم يكن فى جميع بلاده مصادرة قد قنع من الرعايا بالخراج الاصلى يؤخذ منهم كل سنة دفعتين رفقا بهم . كتب اليه بعض السماة سعاية فى وزيره نظام الملك فسلمها اليه وقال له ان كانوا صدقوا فهذب اخلاقك واصلح أحوالك وان كانوا كذبوا فاغفر لهم زلتهم

واشغلهم بهم يشتغلون به عن السعاية بالناس

ولما اشتهر بين الملوك حسن سيرته ومحافظته على عهوده اذعنوا له بالطاعة والموافقة بعد الامتناع وحضروا عنده من اقاصي ماوراء النهر الى اقصى الشام . وكان شديد العناية بكف الجند عن أموال الرعية . بلغه ان بعض خواص مماليكه سلب من بعض الفلاحين ازاراً فأخذ الملوك وصلبه فارتدع الناس عن التعرض الى مال غيرهم . قتل سنة ٤٦٥

(٣ — ملكشاه)

ولى بعد قتل أبيه وفوض أمور دولته الى وزير أبيه نظام الملك وقال له قد رددت الامور كلها كبيرها وصغيرها اليك فانت الوالد فظهر من كفايته وشجاعته وحسن سيرته مايستحق به الثناء . استغاثت به امرأة ضعيفة فوقف يكلمها وتكلمه فدفعها بعض حجابه فأنكر ذلك عليه وقال انما استخدمتك لامثال هذه فان الاعيان والامراء لاحاجة بهم اليك

وفى سنة ٤٦٦ كتب الخليفة عهدا للسلطان ملكشاه بالسلطنة

وفى سنه ٤٨٥ توفى وزيره نظام الملك الحسن بن على والذى دبر قتله هو السلطان ملكشاه لما عظم أمر الوزير وصارت كلمته هى العليا وكان فى قتله الوزير فساد حال الملك

كان نظام الملك من أحسن وزراء الدنيا علما وعقلا. كان إذا دخل عليه أبو القاسم القشيرى وأبو المعالى الجوينى يقوم لهما ويجلس فى مسنده وإذا دخل عليه أبو الفارمذى يقوم اليه ويجلسه فى مكانه ويجلس هو بين يديه فقيل له فى ذلك فقال ان هذين وأمثالهما إذا دخلوا علىّ يثنون علىّ بما ليس فىّ فيزيدنى كلامهم عجبا وتيها وهذا الشيخ يذكرنى عيوب نفسى وما أنا فيه من الظلم فتنكسر نفسى لذلك وارجع عن كثير مما أنا فيه . وهو الذى بنى المدرسة النظامية ببغداد

وملكشاه هو الذى بنى الجامع المعروف بجامع السلطان ببغداد ووضع قبلته منجمه بهرام وجماعة من علماء الفلك

وكانت مدة ملكشاة غرة فى ملك آل سلجوق . اتسع

ملكه جدا فخطب له من حدود الصين الى آخر الشام ومن أقصى بلاد الاسلام فى الشمال الى آخر بلاد اليمن وحملت له ملوك الروم الجزية ولم يفته مطلب وكانت أيامه أيام عدل وسكون وأمن فعمرت البلاد ودرت الارزاق

توفى سنة ٤٨٥

(٤ - بركياروق)

بعد وفاة ملك شاه تنازع الملك من بعده ثلاثة: أصغر أولاده محمود الذى هو فى الخامسة من عمره وتدبره أمه وبعض وزراء أبيه ، وولده الكبير بركياروق ، وأخوه ملكشاه وتتش بن الب ارسلان ملك دمشق . وبعد خطوب كثيرة استقر الامر لبركياروق وخطب له ببغداد أول سنة ٤٨٧

ولم يكن الملك صافيا له لانه نازعه فيه أخوه محمد وصارت الحروب بينهما تتوالى وهى بينهما سجال . ولم ينته أمر هذه المنازعات الا بوفاة بركياروق سنة ٤٩٨

(٥ ـ محمد بن ملكشاه)

بعد وفاة بركياروق قدم محمد بغداد واستقام له الأمر بها وفى تلك الايام كثر آل سلجوق وصار للكثير منهم ممالك خاصة بهم مستقلة عن ملك بغداد فى الشام وحلب والاناضول فقواهم كانت متفرقة وذلك ما أدى الى تغلب الصليبيين على كثير من بلاد الاسلام

توفى محمد سنة ٥١١ وكان عادلا حسن السيرة أطلق المكوس والضرائب من جميع بلاده

(٦ ـ محمود بن محمد)

ولى بعد وفاة أبيه بعهد منه ولكن أمره لم يتم لان عمه سنجر طمع فى ملكه فجاءه وسار اليه محمود والتقيا بنواحى الرى وكانت الغلبة لسنجر فملك الرى

وفى عهد محمود هذا قوى أمر جد نور الدين الشهيد مؤسس الدولة النورية بحلب وغيرها

توفى محمود سنة ٥٢٥

(٧ ـ مسعود بن محمد)

بعد وفاة محمود اتفق وزراء أبيه على تولية ابنه داود ولكن نازعه فى الملك عمه مسعود بن محمد فجاء بغداد واستولى عليها بمساعدة عماد الدين زنكى والد نور الدين

وكان بين مسعود وبين الخليفة المسترشد وحشة أدت الى حرب بينهما انهزم فيها الخليفة ثم قتل

وتوفى السلطان مسعود سنة ٥٤٧ وبموته ماتت سعادة البيت السلجوقى فلم تقم لهم بعد قائمة

(٨ ملكشاه بن مسعود)

ولى بعد وفاة عمه ولكن كبيراً من القواد قبض عليه وأرسل الى أخيه محمد ليحضر ويتولى السلطنة فجاء بغداد وملكها ثم توفى سنة ٥٥٤ وبعد وفاته اختلفت هذه الاسرة فيمن يلى الملك منها واشتغلوا بانفسهم ولم يعد منهم من يقدر على الذب عن نفسه فضلا عن حماية بلاد يملكها حتى انتهى أمرها ولهذه الدولة آثار عظيمة فى الاعمال النافعة ببغداد وغيرها

سيما المدارس الدينية فقد بنى فى عهدهم نظام الملك المدرسة النظامية ببغداد وكان يدرس بها كبار العلماء من الفقهاء والمحدثين والصوفية والفلاسفة وناهيك بمدرسة كان يدرس بها الامام الغزالى الفيلسوف الكبير صاحب احياء علوم الدين وكتب الاصول والفقه المفيدة توفى سنه ٥٠٥ . وابو اسحق الشيرازى وغيرهم من أجلاء العلماء . لا ان الاختلاف والتفرق هو سوس الدول ومهلك الامم فلما تسلط على هذه الدولة محاها ومحا معها تلك الآثار الجميلة

الدرس الثالث والثلاثون

(دولة آل سبُكتُكين)

كان سبكتكين من رجال أبى اسحق قائد جيش غزنة للسامانية وكان مقدما عنده وعليه مدار أمره . توفى أبو اسحاق وليس من أهله وأقاربه من يصلح للتقدم فاتفق العسكر على تولية سبكتكين لما عرفوه من عقله ودينه ومروءته وكمال خلال الخير فيه فوليهم وأحسن السيرة فيهم وساس أمورهم

سياسة حسنة . ولما رأى سبكتين ما آل اليه أمره من طاعة الناس تعلقت به الاطماع فذهب الى بُست واستولى عليها ثم فعل مثل ذلك بقصدار ثم غزا الهند فقهر ملكهم حتى اضطر الى طلب الصلح من سبكتكين فصالحه . وبعد هذه الواقعة أطاعه الافغانية والخلج

وفى سنة ٣٨٧ توفى سبكتين بعد أن ملك نحو عشرين سنة فملك بعده ابنه اسمعيل وكان أخوه محمود أكبر منه وهو بنيسابور فلم يرض تولية أخيه فذهب اليه وقاتله بظاهر غزنة فانهزم اسمعيل وتولى :

١ — محمود بن سبكتكين

وهو أول من تسمى بالسلطان من هذه الاسرة . وفى سنة ٣٨٩ استولى على خراسان . وفى عهده انتهت الدولة السامانية بما وراء النهر وانقسم دولتهم محمود من الغرب وايلك خان التركى من الشرق

ومحمود هذا هو صاحب الآثار الحميدة فى غزو بلاد الهند وادخال الاسلام بها فقد غزاها جملة غزوات والنصر حليفه

وغزا المولتان وفتحها . وقد أدى له ملوك الهند الجزية لما رأوه من قوته وشجاعة جنده

ثم غزا بلاد الغور التي تجاور غزنة وملك مدينتها فأسلم أهلها وجعل عندهم محمود من يعلمهم شرائع الاسلام ثم ملك قشمير فافتتحها وأسلم أهلها

وملك محمود سجستان وخوارزم والري وبلاد الجبل وهمذان واتسع ملكه جدا من أقاصي الهند الى نيسابور وكان عالما دينا عنده خير ومعرفة وصنف له كثير من الكتب في فنون العلوم وقصده العلماء من أقطار البلاد وكان يكرمهم ويقبل عليهم ويعطيهم ويحسن اليهم

توفي سنة ٤٢١ وكان يلقب بيمين الدولة

٢ ـ محمد بن محمود

ولي بعد أخيه بعهد منه وترك أخاه الاكبر مسعودا فاعاد فعلة أبيه فلم يتم الملك لمحمد بل اتفق القواد على خلعه ثم قتلوه وولوا أخاه مسعودا فوصل الى غزنة سنة ٤٢٢

٣ ـ مسعود بن محمود

استتب له الامر بعد خلع أخيه واجتمع له ملك خراسان وغزنة وبلاد الهند والسند وسجستان وكرمان ومكران والرى وأصبهان وبلاد الجبل وعظم سلطانه وخيف جانبه وهو الذى فى عهده ابتدأت دولة آل سلجوق وكانت بينه وبينهم حروب شديدة

وفى سنة ٤٣٢ التف على أخيه محمد جماعة من القواد وحملوه على أخذ الملك من أخيه مسعود فاتفق معهم وقاتلوا مسعودا حتى هزموه ثم قبض عليه محمد وسجنه باحدى القلاع ثم قتله بعد ذلك . ولكن هذا لم يفد محمدا شيئا فان مودود ابن مسعود سار الى عمه من خراسان وقاتله وغلبه ثم قتله

٤ ـ مودود بن مسعود

ولى بعد خلع عمه وفى عهده اشتد ساعد الدولة السلجوقية واستولت على كثير من بلادهم

توفى سنة ٤٤٢

٥ ـ عبد الرشيد بن محمود

استقر الامر لعبد الرشيد بعد وفاة ابن أخيه مودود وفى سنة ٤٤٤ ثار عليه أحد حجابه المسمى طغرل وقتله وأراد أخذ الملك لنفسه فلم يتم له بل قام عليه مخالفون وقتلوه وولوا:

٦ ـ فرُخزاد بن مسعود

وبقى فى الملك الى سنة ٤٥١ حيث توفى فيها وملك بعده أخوه

٧ ـ ابراهيم بن مسعود

وكان عادلا كريما مجاهدا له غزوات كثيرة فى بلاد الهند. وكان يقول لو كنت موضع أبى مسعود بعد وفاة جدى محمود لما انفصمت عرا مملكتنا ولكنى الآن عاجز ان استرد ما أخذه واستولى عليه ملوك قد اتسعت ممالكهم وعظمت عساكرهم . توفى سنة ٤٨١

٨ ـ مسعود بن ابراهيم

ولى بعد وفاة أبيه وكان مصاهراً لآل سلجوق فانه تزوج اخت السلطان الب ارسلان وتوفى سنة ٥٠٨

٩ ـ أرسلانشاه بن مسعود

تولى بعد وفاة أبيه فأتى بأشنع ما يسطر فانه قبض على جميع اخوته وسجنهم ثم قتل بعضا وسمل بعضا من غير خروج منهم عن الطاعة ولكن أخاله اسمه بهرام هرب الى السلطان سنجر السلجوقى واستعان به فاعانه وسار معه بجيش عظيم الى غزنة فقاتل أرسلانشاه وهزمه وأجلس أخاه بهرامشاه على سرير أبيه بشرط أن يخطب للسلاجقة قبله وهى أول مرة خطب فيها لآل سلجوق على منابر غزنة

وفى عهد بهرامشاه هذا ضعفت الدولة السبكتكينية جداً واغار عليها ملوك الغور وصاروا ينتقصون أملاكها. وفى عهد ولده خسرو شاه استولوا على غزنة وأخذوا آخر ملوك هذه الدولة أسيرا وبذلك انقرضت دولتهم سنة ٥٤٧ على يد السلطان غياث الدين الغورى وكان ابتداء ملكهم سنة ٣٦٦ (فتكون مدة ولايتهم ١٨١ سنة) وكان ملوكهم من أحسن الملوك سيرة ولا سيما جدهم محمودا فان آثاره فى الجهاد وفتح الهند عظيمة

هـذه هى الدول الثلاث العظمى التى قامت فى عهـد الدولة العباسية واستمدت منها السلطة ببلاد المشرق

اما الدول التى قامت غربى بغداد فلما كان لهـا من الارتباط بمصر أردنا أن نذكر تاريخ مصر متتابعا من عهد فتحها ويأتى ذكر تلك الدول فى ضمنه

الدرس الرابع والثلاثون

تاريخ مصر

فتحت مصر فى عهد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه وكان قائد جنده الامير عمرو بن العاص . سيره اليها عمر فى السنة العشرين من الهجرة ومعه أربعة آلاف رجل من شجعان المسلمين وكانت مصر فى ذلك الوقت أيالة تابعة لمملكة الروم وعليها أمير من قبلهم مع تقديم عظيم من عظماء القبط يرجع اليه الولاة فى الظاهر واسمه المقوقس . فلما وصل عمرو الى الفرما قاتله فيها الروم نحو امن شهر حتى ظفر بهم . وكان أسقف الاسكندرية يكتب للقبط فيأمرهم بعدم الجد فى حرب المسلمين فيقال ان القبط الذين كانوا بالفرما كانوا يومئذ لعمرو أعوانا . ثم توجه عمرو لا يدافع الا بالامر الخفيف حتى أتى بلبيس فقوتل بها نحواً من شهر ثم فتحها ومضى حتى وصل أم دُنين فقاتلوه بها قتالا شديداً وأبطأ عليه الفتح فكتب الى عمر يستمده فأمده بأربعة آلاف فتم من معه ثمانية آلاف فقوى

بذلك عمرو وحاصر الحصن الذى يقال له بابليون بالقرب من مكان مصر القديمة عند كنيسة المعلقة وألح عليه ونصب عليه المنجنيق ولما اشرف على افتتاحه خاف من فيه على أنفسهم فطلبوا من عمرو الصلح بلسان كبيرهم المقوقس فاجابهم عمرو وقد كان مكثهم فى حصار هذا الحصن سبعة أشهر وصار القبط بعد ذلك أعوانا لعمرو على الروم الذين لم يرضهم هذا الصلح

ثم افتتح عمرو بعد ذلك الاسكندرية عنوة من الروم لانها كانت مقر ملكهم

ولما تم أمر الفتح كان عمرو بن العاص واليا على مصر فنزل فى الموضع الذى ضرب فيه فسطاطه وأسس هناك المدينة التى سميت بعد بالفسطاط وهى التى نسميها نحن الآن بمصر القديمة أو العتيقة وجعلها خططا لكل جماعة من جنده خطة وهى بمنزلة الحارة فى القاهرة . وظل الفسطاط حاضرة مصر من سنة الفتح الى سنة ١٣٢ وهى سنة انقضاء الحكم الاموى

وكانت مصر ولاية تابعة للخلافة الاسلامية يولى عليها الخليفه أميراً من قبله

تداول عليها من الامراء من سنة ٢٠ الى سنة ١٣٢ سبعة وعشرون أميراً أطولهم مدة مسلمة بن مخلد فانه ولى خمس عشرة سنة . ومنهم من كانت مدته الشهر والشهرين

ومن أصحاب الاثر من امراء مصر عبد الله بن سعد بن أبي سرح فانه غزا ثلاث غزوات كبرى . غزا افريقية (الغرب الادنى والاوسط) سنة ٢٧ وانتصر فيها انتصاراً باهرا . وغزا البلاد السودانية حتى بلغ دنقلة سنة ٣١ . وغزا الغزوة الملقبة بذات الصوارى سنة ٣٤ مع ملك الروم قسطنطين بن هرقل وكان الروم فى سبعمائة مركب والمسلمون فى مائتين فانتصر المسلمون على أعدائهم انتصارا عظيماً

ومنهم عقبة بن عامر الجهنى صاحب المسجد المشهور بالقرب من الامام الشافعي وكان قارئا فقيها

ومنهم مسلمة بن مَخْلَد وفى أيامه نظمت الغزوات فى البر والبحر وهو أطول امراء مصر فى هذا العهد مدة

ومنهم عبد العزيز بن مروان وفى عهده حصل طاعون بالفسطاط فخرج منها ونزل حلوان فاتخذها داراً وسكنها وجعل

بها الاعوان وبنى بها الدور والمساجد وعمرها أحسن عمارة وغرس نخلها وكرمها

ومنهم عبد الله بن عبد الملك بن مروان وهو الذى أمر ان تنسخ دواوين مصر بالعربية وكانت بالقبطية وفى أيامه غلت الاسعار فتشاءم الناس به وهى أول شدة رأوها بمصر وكان عبد الله يرتشى ومن تعاسة الامم أن يكون لها أمير يرتشى فان مصالحها تضيع امام هذه النكبة . ومن الغريب ان هذا الامير لم يتمتع بما ناله من هذا السبيل المحرم فانه لما عزله أخوه الوليد بن عبد الملك وسار من مصر ووصل الى الاردن احيط به وأخذ جميع ما معه من المال وحمل الى أخيه فكان عليه اثمه ولغيره غنمه

ومنهم أيوب بن شرحبيل وهو الذى ولاه الرجل الصالح عمر بن عبد العزيز وورد عليه كتابه بالزيادة فى أعطيات الناس عامة ومنع من مصر فى أيامه الخمر وهى أعظم مضرة لها وبالجملة فان أيوب صار فى مصر بسيرة الخليفة الطيبة

ومنهم عبد الملك بن مروان بن موسى بن نصير وهو

الذى أمر باتخاذ المنابر فى الكور ولم تكن قبله وانما كان ولاة الكور يخطبون على العصى الى جانب القبلة وهو آخر ولاة بنى أمية

ولما انتهى ملك بنى أمية وخلفتها الدولة العباسية صارت مصر ولاية تابعة لبنى العباس وكان افتتاحها بعسكر صالح بن على العباسى وأبى عون عبد الملك بن يزيد وقد نزل عسكرهما خارج الفسطاط بين حدرة ابن قميحة الى كوم الجارح حيث الفضاء الذى يتوسط ما بين قنطرة السد وبين سور القرافة. فأمر أبو عون أصحابه أن يبنوا فى ذلك المكان فبنوا وسمى ذلك المكان بالعسكر واتصل البناء فيه بالفسطاط وبنى فيه دار الامارة ومسجد جامع عرف بجامع العسكر

واستمر بعد ذلك العسكر منزلا لأمراء مصر من عهد ابى عون أول امراء العباسيين الى مجئ أحمد بن طولون من سنة ١٣٣ الى سنة ٢٥٤ فمدتهم مائة واثنتان وعشرون سنة. وقد تولى منهم نحو خمسة وستين أميرا أطولهم مدة يزيد بن عبد الله بن دينار فقد دامت ولايته نحو عشر سنوات ويزيد

ابن حاتم فقد كانت مدته نحو ثماني سنوات والكثير منهم مكث السنة والسنتين والشهر والشهرين حتى انه في مدة خلافة الرشيد تقلب على مصر ثلاثة وعشرون أميراً وفي مدة المأمون خمسة عشر أميراً

وممن له شأن من الامراء في هذا الدور يحيى بن داود من أهل خراسان وكان أبوه تركيا وهو من أشد الناس وأعظمهم هيبة وأقدمهم على الدم وأكثرهم عقوبة فمنع من اغلاق الدروب بالليل واغلاق الحوانيت حتى جعلوا عليها شرائح القصب لمنع الكلاب ومنع حراس الحمامات ان يجلسوا فيها وقال من ضاع له شيء فعليّ أداؤه وكان الرجل يدخل الحمام فيضع ثيابه ويقول يا أبا صالح احرسها . فكانت الامور على هذا مدة ولايته وكان أبو جعفر المنصور إذا ذكره يقول هو رجل يخافني ولا يخاف الله

وممن يذكر منهم بالسوء موسى بن مصعب بن الربيع من أهل الموصل . شدد في استخراج الخراج وزاد على كل فدان ضعف ما يقبل به وارتشى في الاحكام وجعل خراجا على

أهل الاسواق وعلى الدواب فكرهه الناس ونابذوه وانتهى أمره أن قتل وكان ظالما غاشما سمعه الليث بن سعد وهو يقرأ فى خطبته « إنا أعتدنا للظالمين نارآ أحاط بهم سرادقها » فقال اللهم لا تمقتنا

ومنهم على بن سليمان بن على العباسى . اظهر فى ولايته الامر بالمعروف والنهى عن المنكر ومنع الملاهى والخمور . وكان كثير الصدقة . ومن أعماله أنه هدم الكنائس المحدثة فى مصر فلما جاء خلفه موسى بن عيسى العباسى اذن فى بنائها فبنيت بمشورة الامامين الليث بن سعد وعبد الله بن لهيعة

ومنهم السرى بن الحكم وهو الذى فى عهده دخل الامام محمد بن ادريس الشافعى مصر وأقبل عليه أهلها متعلمين وتفقهوا عليه وتلد الكثير منهم مذهبه . وقد توفى رحمه الله سنة ٢٠٤ ودفن بتربته المعروفة

وفى آخر هذا العهد كان أمراء مصر من موالى الاتراك تبعا للحال فى بغداد وآخرهم أرجون بن أولغ طرخان التركى وكان قبل أن يلى رئيس الشرطة فمنع النساء من الحمامات

والمقابر ومنع النوائح ونهى أن يشق ثوب على ميت أو يسود وجه أو يحلق شعر أو تصيح امرأة وعاقب فى ذلك وشدد فيه وكان عزله فى رمضان سنة ٢٥٤ بأحمد بن طولون

الدرس الخامس والثلاثون

الدولة الطولونية

(١ - احمد بن طولون والقطائع)

فى سنة ٢٥٤ ولى مصر احمد بن طولون فدخلها لسبع بقين من شهر رمضان وكان من كثرة العبيد والرجال بحيث ضاقت عليه دار الامارة فركب الى سفح الجبل وبنى القصر والميدان وتقدم الى أصحابه وغلمانه وأتباعه أن يختطوا لانفسهم حوله فاختطوا وبنوا حتى اتصل البناء بعمارة الفسطاط . ثم قطعت القطائع وهى بمنزلة الحارات فى القاهرة والخطط فى الفسطاط فصارت القطائع عمارة حسنة وتفرقت فيها السكك والازقة وبنيت فيها المساجد الحسان والطواحين والحمامات

والافران . ومن آثاره الباقية مسجده الشهير بجامع ابن طولون ذى المنارة الممتازة بسلمها الخارجى والمنبر الجميل الصنع وهو الآن معطل لا يصلى فيه . وكان حد القطائع طولا من قبة الهواء التى صار مكانها قلعة الجبل الى جامع ابن طولون . وحدها عرضا من الرميلة تحت القلعة الى مشهد زين العابدين . وكانت مساحتها ميلا فى ميل . وكان قصر ابن طولون بالقرب من قلعة الجبل وجعل بين القصر والجامع الذى بناه ميدانا سلطانيا وبحذاء الجامع دار الامارة

وكان ابن طولون من أحسن الامراء فانه أسقط كثيراً من المظالم التى يضعها عادة ولاة الجور سدا للنهم والشره . وكانت صدقاته على أهل المسكنة والستر وعلى الضعفاء والفقراء متواترة وكان راتبه لذلك فى كل شهر الفى دينار سوي ما يطرأ عليه من النذور وصدقات الشكر على تجديد النعم وسوى مطابخه التى أقيمت فى كل يوم للصدقات فى داره وغيرها . وكان له مجلس ينظر منه الى المساكين ويتأمل فرحهم بما يأكلون ويحملون فيسره ذلك ويحمد الله عليه . وبنى مارستانا للمرضى

فى أرض العسكر بين جامعه وكوم الجارح سنة ٢٥٩ ولم يكن قبل ذلك بمصر مارستان (مستشفى) ولما فرغ منه وقف عليه أوقافا كثيرة واشترط ألا يعالج فيه جندى ولا مملوك . وعمل حمامين للمارستان أحدهما للرجال والآخر للنساء وشرط أنه اذا جيء بالعليل تنزع ثيابه ونفقته وتحفظ عند أمين المارستان ثم يلبس ثيابا وتعوده الاطباء حتى يبرأ فاذا أكل فروجا ورغيفا أمر بالانصراف وأعطى ماله وثيابه . وكان الذى أنفق على المارستان ومستغله ستين الف دينار . وكان يركب بنفسه كل يوم جمعة ويتفقد خزائن المارستان وما فيها والاطباء وينظر الى المرضى وسائر الاعلاء والمحبوسين من المجانين

وكان ابن طولون بمصر مستقلا فى ادارتها عن بنى العباس . توفى رحمه الله فى ذي القعدة سنة ٢٧٠

٢ أبو الجيش خمارويه

بايعه الجند بعد وفاة أبيه

ولما تولى أقبل على قصر أبيه وزاد فيه وأخذ الميدان

الذي كان لابيه فجعله كله بستانا وزرع فيه أنواع الرياحين وأصناف الشجر وحمل اليه كل صنف من الشجر المطعم العجيب وأنواع الورد وكسا أجسام النخل نحاسا مذهبا حسن الصنعة وجعل بين النحاس وأجساد النخل ميازيب الرصاص واجرى فيها الماء المدبر فكان يخرج من تضاعيف قائم النخل عيون الماء فتنحدر الى فساقى معمولة ويفيض منها الماء الى مجار تسقى سائر البستان . وغرس فيه من الريحان المزروع على نقوش معمولة وكتابات مكتوبة يتعاهدها البستانى بالمقراض حتى لا تزيد ورقة على ورقة . وزرع فيه النيلوفر الاحمر والازرق والاصفر والجنوى العجيب وأشباه ذلك من كل ما يستطرف ويستحسن وسرح فى البستان من الطير العجيب كالطواويس ودجاج الحبش ونحوها شيئاً كثيراً . وعمل فى داره مجلسا برواقه سماه بيت الذهب طلى حيطانه كلها بالذهب المحلول بالأزورد المعمول فى أحسن نقش وأظرف تفصيل وجعل فيه على مقدار قامة ونصف صوراً فى حيطانه بارزة من خشب معمول على صورته وصورة أهل بيته بأحسن

تصوير وأبهج تزويق وجعل على رءوسهن الاكاليل من الذهب الخالص الابريز والكوادن المرصعة باصناف الجواهر ولونت أجسامها باصناف أشباه الثياب من الاصباغ العجيبة فكان هذا البيت من أعجب مبانى الدنيا أذ ذاك . وبنى أيضا فى داره دارا للسباع عمل فيها بيوتا بآزاج كل بيت يسع سبعا ولبوته وعلى تلك البيوت أبواب تفتح من أعلاها بحركات . ولكل بيت منها طاق صغير يدخل منه الرجل الموكل بخدمة ذلك البيت . وفى جانب كل بيت حوض من رخام بميزاب من نحاس يصب فيه الماء وبين يدى هذه البيوت قاعة فسيحة متسعة فيها رمل مفروش بها وفى جانبها حوض كبير من رخام يصب فيه ماء من ميزاب كبير يخرج اليها السباع اذا أريد تنظيف بيوتها ووضع غذائها لها

وبلغ رزق الجيش فى أيام خمارويه تسعمائة الف دينار فى كل سنة . وقام مطبخه المعروف بمطبخ العامة بثلاثة وعشرين الف دينار كل شهر

وزوج خليفة بغداد المعتضد ابنته قطر الندى . ولما أتم

جهازها بنى لها على رأس كل مرحلة تنزل بها قصرا فيما بين مصر وبغداد . فكانت اذا وافت المنزل وجدت قصرا قد فرش فيه جميع ما يحتاج اليه وعلقت فيه الستور وأعدفيه كل ما يصلح لمثلها حال الاقامة . فكانت في مسيرها من مصر الى بغداد على بعد الشقة كأنها فى قصر أبيها تنتقل من مجلس الى مجلس حتى قدمت بغداد أول المحرم سنة ٢٨٢

وكانت منيته بدمشق حيث خرج اليها لانها كانت من ضمن ولايته فذبحه جواريه وخدمه وحمل الى مصر . وكان ذلك فى أواخر سنة ٢٨٢

﴿ ٣ - جيش بن خمارويه ﴾

ولى بعد قتل أبيه فظهرت منه أمور أنكرت عليه فاستوحش من عظماء الجند وتنكر لهم فخافوه ودأبوا فى الفساد ثم قاموا فى وجهه وخلعوه . وكان خلعه فى جمادى الآخرة سنة ٢٨٣

٤ - هارون بن خمارويه

ولى يوم خلع أخيه . ولكن قام طائفة من الجند وكاتبوا ربيعة بن احمد بن طولون ليولوه بدله فجمع ربيعة جمعا وجاء لمحاربة ابن أخيه ولكنه هزم وقتل . ثم ان خليفة بغداد المكتفى اراد استرجاع مصر فارسل جنداً يقوده محمد بن سليمان الكاتب وكان معه اسطول عظيم فحارب اسطول هارون وقهره . كل ذلك وهارون متشاغل بلهوه فأجمع عماه شيبان وعدى ابنا احمد بن طولون على قتله فدخلا عليه وهو ثمل فقتلاه فى صفر سنة ٢٩٢

٥ - شيبان بن أحمد بن طولون

ولى بعد قتل ابن أخيه وقد أنكر كثير من القواد قتل هارون فخالفوا على شيبان وراسلوا محمد بن سليمان المرسل من قبل الخليفة فجاء الى الفسطاط ولما علم بذلك شيبان طلب الامان فأمنوه بعد أن ولى اثنى عشر يوما ودخل محمد بن سليمان فألقى النار فى القطائع ونهب أصحابه الفسطاط وكسروا السجون

وأخرجوا من فيها وفعلوا كل قبيح فأخرجوا الناس من دورهم وأخرج أولاد احمد بن طولون وهم عشرون أنسانا وأخرج قوادهم فلم يبق منهم بمصر أحد وخلت منهم الديار وعفت منهم الآثار وتعطلت منهم المنازل

وكانت مدة بنى طولون بمصر سبعا وثلاثين سنة وستة أشهر واثنين وعشرين يوما وولى منهم خمسة امراء وبذلك عادت مصر ولاية تابعة للعباسيين كما كانت من هذه السنة وهى سنة ٢٩٢ الى أن جاءت الدولة الفاطمية سنة ٣٥٨ فهى ست وستون سنة ولى فيها ثلاثة عشر أميراً وكانت هذه المدة مملوءة بالفتن والاضطرابات لضعف الدولة التى تولى هؤلاء الولاة وتوجه الخلفاء الفاطميين الى الاستيلاء على مصر فكانت بينهم وبين أهل مصر مناوشات فى معظم الاوقات

ومن أشهر الولاة فى تلك المدة محمد بن طُغُج بن جَف الفرغانى الملقب بالاخشيد تولى مصر مرتين ثانيتهما من قبل الراضى بالله سنة ٣٢٣ ولم يزل واليا الى أن توفى سنة ٣٣٤ فولى بعده ابنه (أنوجور) باستخلاف أبيه وكان المتحكم عليه

فى دولته كافور الخصى الملقب بالاخشيدى نسبة الى سيده الاخشيد ولما توفى أنوجور سنة ٣٤٧ وولى بعده أخوه على ابن الاخشيد قوى أمر كافور وصار هو المتصرف فى أمر الدولة ولما مات على ولى كافور أمر مصر سنة ٣٥٥ وهو صاحب المتنبى الشاعر وله فيه المدائح العظيمة حينما كان يدر عليه عطاياه والأهاجى الخبيثة حينما غضب عليه وقد هجا فى طريقه أهل مصر كلهم لقبولهم ولاية مثله . توفى كافور سنة ٣٥٧

فولى بعده احمد بن على الاخشيد وسنه احدى عشرة سنة وفى عهده قدم جوهر القائد فاستلم مصر باسم الخلفاء الفاطميين

الدرس السادس والثلاثون

الدولة الفاطمية

تنسب هذه الدولة الى فاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقال لها العبيدية نسبة الى أول خلفائها

عبيد الله المهدى القائم بأفريقية بهمة قائده وداعيته ابى عبد الله الحسين بن احمد الشيعى الذى سار الى أفريقية فدعا الناس الى المهدى المنتظر وبمن أجابه استولى على القيروان ورقادة وسجلماسة وبرقادة نزل عبيد الله المهدى سنة ٢٩٧ فخطب له بها وتلقب بالمهدى أمير المؤمنين ومن الغرائب أنه لم يعرف لأبى عبد الله الشيعى مؤسس ملكه حقه فقتله بعد أن استتب له الامر كما قتل المنصور العباسى ابا مسلم الخراسانى

وما زال ملك المهدى يتسع حتى كان له معظم شمال أفريقية وهو المغرب الادنى والاوسط وبنى مدينته المهدية وأدار عليها سورا جعل فيه أبوابا زنة كل مصراع منها مائة قنطار من حديد وابتدأ بناءها سنة ٣٠٣ وكان لجنوده مع مصر مناوشات ولكن لم يتم له امر ملكها. توفى سنة ٣٢٢

فقام من بعده ابنه وولى عهده القائم بامر الله محمود وتبع فى الحكم سيرة أبيه . توفى سنة ٣٣٤ ولم يرق منبرا ولا ركب دابة لصيد مدة خلافته وصلى بالناس العيد مرة واحدة . وولى بعده ابنه المنصور بنصر الله اسمعيل وكان خطيبا بليغا يرتجل

الخطبة لوقته شجاعا عاقلا . توفى سنة ٣٤١

وقام من بعده ابنه المعز لدين الله معد وكان وزيره ومدبره مولاه جوهر الصقلّى وهو الذى أرسله المعز لفتح مصر فسار اليها من القيروان فى ربيع الاول سنة ٣٥٨ ولما وصلها لم يجد كبير عناء فى فتحها لان أهل مصر كانوا يميلون ان يخرجوا من حكم العباسيين الى حكم العلويين

ولما استتبت فيها قدمه شرع فى بناء القاهرة وكانت إذ ذاك رملة بين مصر وبين عين شمس يمر بها الناس عند مسيرهم من الفسطاط الى عين شمس وكانت فيما بين الخليج والجبل . ولم يكن عند نزول جوهر بهذه الرملة فيها بنيان سوى أماكن هى بستان الاخشيد محمد بن طغج الذى كان معروفا بالكافورى ودير للنصارى يعرف بدير العظام وكان بهذه الرملة مكان ثالث يعرف بقُصير الشوك وصار موضعه عند بناء القاهرة يعرف بقصر الشوك

وكانت القاهرة تطلق على ما حازه السور الذى طوله من باب زويلة الى باب الفتوح وباب النصر وعرضه من باب

سعادة وباب الخوخة الى باب البرقية والباب المحروق . وكان اختطاط القاهرة فى جمادى الآخرة سنة ٣٥٩ واختطت كل قبيلة خطة عرفت بها فزويلة بنت الحارة المعروفة بها واختطت الروم حارتين حارة الروم التى مدخلها بباب مدرسة العقادين وحارة الروم الجوانية

ووضع جوهر اساس القصر ومكانه يقارب المشهد الحسينى الآن

ثم أسس أول جامع بنى فى القاهرة وهو الجامع الازهر وشرع فى بنائه يوم السبت لست بقين من جمادى الاولى سنة ٣٥٩ وكمل بناؤه لتسع خلون من رمضان سنة ٣٦١ وكتب بدائر القبة التى فى الرواق الاول وهى على يمنة المحراب والمنبر ما نصه بعد البسملة « مما أمر ببنيانه عبد الله ووليه أبو تميم معد الامام المعز لدين الله أمير المؤمنين صلوات الله عليه وعلى آبائه وأبنائه الاكرمين على يد عبده جوهر الكاتب الصقلى وذلك فى سنة ٣٦٠ » وأول جمعة صليت فيه فى شهر رمضان لسبع خلون منه سنة ٣٦١

ولما تم ذلك فارق المعز مدينة المهدية بالمغرب وجاء الى مصر فدخل القاهرة بجميع أولاده وأخوته وسائر أولاد عبيدالله المهدى وذلك لسبع خلون من رمضان سنة ٣٦٢ وأمر فكتب فى سائر مدن مصر خير الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أمير المؤمنين على بن أبى طالب وصلى بالناس صلاة عيد الفطر فى المصلى فسبح فى كل ركعة وفى كل سجدة ثلاثين تسبيحة ثم خطب بعد الصلاة وركب لفتح خليج مصر يوم الوفاء ومازال الى أن توفى بعد دخوله القاهرة بسنتين وسبعة أشهر واليه تنسب القاهرة المعزية . أقيمت له الدعوة بالمغرب كله وديار مصر والشام والحرمين

٢ ـ العزيز بالله نزار

قام بعد أبيه واستمر خليفة الى سنة ٣٨٦ فكانت مدته احدى وعشرين سنة وخمسة أشهر ونصفا

٣ ـ الحاكم بأمر الله منصور

ولى بعد وفاة أخيه وهو الذى أسس ذلك الجامع الكبير

المسمى باسمه مما يلى باب الفتوح وانتهت عمارته سنة ٤٠٣ وأقيمت فيه الجمعة ولما أريد فرشه بالحصر كان تكسير ذلك ٣٦٠٠٠ ذراع وكان الخليفة يصلى أول جمعة من رمضان فى جامع القاهرة وهو الازهر والجمعة الثانية بجامع الحاكم والجمعة الثالثة بالجامع العتيق بمصر ولعل هذا هو السبب فى صلاة امراء مصر للآن آخر جمعة من رمضان بجامع عمرو بن العاص الذى هو أقدم جامع فى مصر كلها

وكانت فى الحاكم أخلاق متناقضة من جور وعدل وجود وبخل وكان يتشدد فى الامن بمصر ويحتال لذلك حتى انه ادعى للناس علم ما غاب فكان يقول للرجل أنت فعلت كذا بالامس وفعلت كذا وذلك بالطبع بواسطة جواسيسه الكثيرين الذين انتشروا فى البلد من رجال ونساء لتصل اليه أخبار الناس ولما ازداد أمره فى هذه الدعوى كتب اليه بعض الناس رقعة ورمى بها وهو فى معظم موكبه وفيها

بالجور والظلم قد رضينا ... وليس بالكفر والحماقة
ان كنت أوتيت علم غيب ... بين لنا كاتب البطاقة

وكان هذا التضييق على الناس سببا فى تدبير أخته أمر قتله فنُدب اليه من يقتله اذا خرج لصيده فخرج ذات يوم الى حلوان وهناك صادفه العبيد الذين اعدوا لقتله فقتلوه سنة ٤١١

﴿ ٤ ﴾ الظاهر لاعزاز دين الله على

بويع بعد قتل والده فى يوم عيد النحر سنة ٤١١ وشرب الخمر ورخص فيه للناس وفى سماع الغناء فاقبل الناس فى عهده على اللهو ولما رأى كبار الدولة ذلك منه انتهزوا هذه الفرصة للاستئثار بالحكم ومنعوا الناس أن يدخلوا عليه وهو مشغول بلذاته وفى ذلك العهد اضطربت الاحوال وغلت الاسعار حتى بيع رأس البقر بخمسين ديناراً وعز الماء لقلة المطر فعم البلاء من كل جهة وتفاقم الامر لشدة الغلاء حتى صاح الناس بالظاهر الجوع الجوع يا أمير المؤمنين لم يصنع بنا هذا أبوك ولا جدك فالله الله فى أمرنا وكان ذلك سنة ٤١٥ وكانت الحال تتحسن ثم ترجع فتعود حتى توفى الظاهر سنة ٤٢٧

٥ المستنصر بالله معد

بويع بعد وفاة والده وعمره سبع سنين فاقام فى الخلافة ستين سنة وهى مدة لم يلها أحد من خلفاء المسلمين ولا ملوكهم غيره وكان فى هذه المدة انباء وقصص شنيعة بمصر ففى سنة ٤٥٣ كثر صرف الوزراء والقضاة وولايتهم لكثرة مخالطة الرعاع للخليفة وتقدم الاراذل بحيث كان يصل اليه فى كل يوم ثمانمائة رقعة فيها المرافعات والسعايات فاشتبهت عليه الامور وتناقضت الاحوال ووقع الاختلاف بين جند الدولة المؤلف من العبيد والاتراك وقاتل بعضهم بعضا وضعفت قوى الوزراء عن التدبير لقصر مدة كل منهم وخربت الاعمال وقل ارتفاعها وتغلب الرجال على معظمها مع كثرة النفقات والاستخفاف بالامور وطغيان الاكابر الى أن آل الامر الى حدوث الشدة العظمى التى لم يسمع بمثلها فى تاريخ مصر فان السعر ارتفع وتبعه وباء حتى كان يموت الواحد من أهل البيت فلا يمضى يوم وليلة من موته حتى يموت سائر من فى ذلك البيت ولا يوجد من يستولى عليه ومدت الاجناد ايديها الى

النهب فخرج الامر عن الحد ونجا أهل القوة بأنفسهم من مصر وساروا الى الشام والعراق وذهبت أبهة الخلافة حتى كان الخليفة يجلس على حصير ليس معه من يخدمه سوى ثلاثة من الخدم وكانت مدة هذه المصايب سبع سنين من سنة ٤٥٧ الى سنة ٤٦٤ وبيع فى هذا العهد أردب القمح بثمانين ديناراً ثم عدم ذلك حتى أكل الناس القطط والكلاب ثم تزايد الحال حتى أكل الناس بعضهم بعضا . وبسبب هذا الغلاء خرب الفسطاط وخلا موضع العسكر والقطائع وظاهر مصر مما يلى القرافة

ولم يزل الحال على ذلك حتى قدم أمير الجيوش بدر الجمالى سنة ٤٦٦ فاستبد بالامر ودبره بعض التدبير فحسنت الحال وتراجعت الاسعار وكان المستنصر فى مدته ملجما عن التصرف ولما مات الافضل ولى الجند بعده ابنه الافضل شاهنشاه

توفى المستنصر سنة ٤٨٧ وكان ضعف عقله وميله الى أراذل الناس وسماع وشاياتهم سببا لضيعة الكفاة من المدبرين والعاملين وقيام المنافقين الخائنين فضاعت هيبته وهيبتهم حتى

لم يقدروا على تدبير الامر فحصلت هذه الشدائد له ولأمته وحتى فقد القوت فكانت امرأة من الاشراف تتصدق عليه كل يوم بقصب فيه فتيت فلا يأكل سواه مرة فى كل يوم

٦ ـ المستعلى بالله أحمد

ولما توفى المستنصر أقام الافضل ابن أمير الجيوش ابنه أحمد وكان الافضل هو القائم بالامر ولم يكن للمستعلى معه شىء من التصرف وفى عهد المستعلى اختلت الدولة الفاطمية وانقطعت دعوته من الشام وظهر الافرنج فأخذوا كثيراً من سواحلها ولم يكن بيد الدولة المصرية قوة تدفع بها العدو

الدرس السابع والثلاثون

٧ ـ الآمر بأحكام الله منصور

كان عمره حين ولى الخلافة خمس سنين والذى ولاه هو الافضل بن أمير الجيوش ولم يزل متصرفا حتى قتل سنة ٥١٥

فاستوزر الآمر بعده القائد أباعبدالله محمد بن فاتك البطائحى ولقبه بالمأمون فقام بأمر دولته الى أن قبض عليه سنة ٥١٩ فتفرغ الآمر لنفسه ولم يبق له ضد ولا مزاحم وكانت أيامه كلها لهواً وعيشة راضية لكثرة عطائه وعطاء حواشيه بحيث لم يوجد فى زمانه بمصر والقاهرة من يشكو زمانه البتة الى أن نكد على الناس بابن أبى نجاح المستوفى وكان راهبا فتحكم فى الناس وتمكن من الدواوين فابتدأ فى مطالبة النصارى وحقق فى جهاتهم الاموال وحملها أولا فأولا ثم أخذ فى مصادرة بقية المباشرين والعاملين والضمناء والعمال وزاد الى أن عم ضرره جميع الرؤساء والقضاة والكتاب والسوقة بحيث لم يخل أحد من ضرره وكان ذلك سببا فى قبح سيرة الآمر بين الناس. ولما رأى ذلك الآمر قبض على ابن أبى نجاح وضرب بالنعال حتى مات ثم طرح فى النيل

والآمر هو الذى بنى الجامع الاقمر وفى أيامه ملك الفرنج كثيراً من المعاقل والحصون بسواحل الشام وعكا وغزة وطرابلس وغيرها وكان أسمر شديد السمرة يحفظ القرآن

ويكتب خطا ضعيفا وكان جريئا على سفك الدماء وارتكاب المحظورات واستحسان القبائح . قتل سنة ٤٢٤

٨ ـ الحافظ لدين الله عبد المجيد بن محمد بن المستنصر

أقامه كبراء الدولة بعد قتل ابن عمه على أن يكون كفيلا لمنتظر فى بطن أمه من أولاد الآمر وكان وزيره يانس صاحب الباب الذى تسمى باسمه حارة اليانسية ونسميها نحن الآن بدرب الانسية

وكان من وزرائه بهرام الارمنى وفى عهده اشتد الضرر بالمسلمين ولكنه لم يمكث كثيراً

وكان الحافظ حازما سيوسا كثير المداراة عارفا بما للمال يغلب عليه الحلم . وفى عهده حدثت فتن بين طوائف العسكر ومات وهى قائمة سنة ٤٤٤

٩ ـ الظافر بامر الله اسمعيل

أقيم بعد وفاة أبيه وكان محكوما عليه من وزيره ولم تكن

أحوال الدولة بمستقيمة لان الخليفة كان مشتغلا بلهوه وملذاته وآخر الامر قتله وزيره عباس سنة ٤٤٩

١٠ ـ الفائز بنصر الله عيسى

أقيم فى الخلافة بعد مقتل والده وكانت سنه خمسا وكان المتغلب عليه وزيره طلائع بن رزّيك الملقب بالملك الصالح وهو الذى بنى المسجد خارج باب زويلة المسمى بجامع الصالح وقد أراد أن يجعله مدفنا لرأس الحسين التى أحضرت من عسقلان فى زمنه فلم يرض الخليفة وقال لابد أن تكون مجاورة للقصر وقد كان فدفنت بالمشهد الذى هى به سنة ٤٥٨

ولم تطل مدة الفائز فى الخلافة فانه توفى سنة ٤٥٥ وسنه احدى عشرة سنة

١١ ـ العاضد لدين الله عبد الله بن يوسف بن الحافظ

هو آخر خلفاء الفاطميين بمصر ولاه طلائع بعد موت الفائز وعمره احدى عشرة سنة فقام الصالح بتدبير الامور

حتى قتل فقام من بعده ابنه رزيك وكان يناوئه شاور بن مجير السعدى والى ولاية قوص فجاء الى مصر وقتل رزيك واستبد هو بأمر الوزارة وكانت هذه الايام مملوءة بالاضطراب والفتن وكانت الفرنج متطامة بعد أخذها سواحل الشام الى أخذ مصر فاستغاث الخليفة بمحمود نور الدين القائم بمحاربة الصليبيين بالشام فانجده بعسكر يقوده أسد الدين شيركوه عم صلاح الدين بن يوسف فجاء مصر ولكن شاور كان يخاف على وزارته فاستنجد بملك الافرنج مرى على شيركوه وكانت بين الفريقين خطوب واهوال وانتهى الامر بقتل شاور وتغلب اسد الدين شيركوه وتولى وزارة العاضد حتى مات بعد شهرين من ولايته فقام من بعده بوزارة العاضد صلاح الدين يوسف فساس الامور ودبر لنفسه وصار يخطب للعاضد ثم لمحمود نور الدين ولما ازداد ضعف الخليفة فكر صلاح الدين فى قطع خطبته والخطبة لبنى العباس فمرض العاضد ومات سنة ٥٦٧ وبموته انتهت الدولة الفاطمية من مصر وخلفتها الدولة الايوبية فعلا والعباسية اسما

مكثت الدولة الفاطمية بمصر من سنة ٣٤٨ الى سنة ٥٦٧ فتكون مدتهم مائتا سنة وتسع وكانت حاضرتهم القاهرة وهم الذين أسسوها وكان حكمها يمتد من المغرب الى مصر الى الشام والحجاز الا أنها فى آخر الامر ضعفت لاستبداد وزرائها بأمرها فكان فى الحكم سلطتان سلطة الخليفة الاسمية وسلطة الوزراء الفعلية والاول يتطلع دائما لاسترداد حقه المسلوب فلا يترك حيلة لذلك الا فعلها مهما كان ضررها والآخرون يتمسكون بما نالوه وبيدهم قوة الدولة وجندها وبين ذلك تتعطل المصالح العامة وتكثر الفتن وهى المؤذنة بخراب الدولة ومما كان يستعمله الوزراء للمحافظة على ما بيدهم أنهم يولون الخلافة من لا يصلح لصغر سنه فكم ولوا من سنه دون الرجولة فاذا وصل اليها شرع يناوشهم ويناوشونه لا جرم أن جر ذلك انقضاء الدولة وذهابها بالمرة

وقد كان فى أيام هذه الدولة الظلم والعدل والراحة والتعب لان الامة قيادها بيد رجل واحد يتصرف فى أمورها فان كان طيب الخلق حسن التربية حسنت الاحوال وان كان

وديثا شرهاميالا الى ما بيد الناس ساءت الحال وكل قوم فيهم الخير والشر

ذلك كان أمر مصر فى مدة هذه الدولة ومدة من سبقها من الامراء الا أنه مما شوهد أنها فى عهد استقلالها كما هو الحال فى عهد بنى طولون وعهد الفاطميين تكثر فيها العمائر والابنيه ويكون الرخاء فيها اكثر فانظر الى بنى طولون كيف بنوا القطائع والميدان والقصر والبساتين الجميلة والجامع العظيم وكانت الامة لعهدهم يكثر فيها الراحة والرخاء. وانظر الى الفاطميين كيف بنوا القاهرة والازهر وجامع الحاكم والجامع الاقمر وازداد فى أيامهم جمال مصر وبهجتها (فى أولها ووسطها) فكانت لهم القصور العظيمة والمتنزهات الجميلة وما ذلك الا لما عندهم من الحرية فى التصرف فان اتجهت أنفسهم الى الخير أمكنهم أن يصنعوا أحسن شئ

وكانت هذه الدولة ميالة الى العلم والحكمة ولهم دار كتب (كتبخانة) لم يجمع فى مصر أكثر منها . وكانت عدة الخزائن التى برسم الكتب فى سائر العلوم بالقصر أربعين خزانة

من جملتها ثمانية عشر الف كتاب من العلوم القديمة . هذا سوى ما كان فى خزائن دار العلم بالقاهرة

وقال ابن الطوير أن فى خزانة الكتب ما يزيد على مائتى الف كتاب من المجلدات ويسير من المجردات

ومما يؤيد ذلك أن القاضى الفاضل لما أنشأ المدرسة الفاضلية بالقاهرة جعل فيها من كتب القصر مائة الف كتاب مجلد

وكان لهم دار اسمها دار العلم اتخذها الحاكم بأمر الله وفتحت فى جمادى الآخرة سنة ٣٩٥ وجلس فيها الفقهاء وحملت اليها الكتب من خزائن القصور المعمورة ودخل الناس اليها ونسخ كل من التمس نسخ شىء مما فيها ما التمسه وكذلك من رأى قراءة شىء فيها وجلس فيها القراء والفلكيون وأصحاب النحو واللغة والاطباء بعد ان فرشت هذه الدار وزخرفت وعلقت على جميع أبوابها وممراتها الستور وأقيم لوام وخدامون وفراشون وغيرهم وسموا بخدمتها وحصل فى هذه الدار من خزائن أمير المؤمنين

الحاكم بأمر الله من الكتب التى أمر بحملها اليها من سائر العلوم والآداب والخطوط المنسوبة مالم ير مثله مجتمعا لأحد قط من الملوك وأباح ذلك كله لسائر الناس على اختلاف طبقاتهم ممن يؤثر قراءة الكتب والنظر فيها وجعل فيها ما يحتاج الناس اليه من الحبر والاقلام والاوراق والمحابر ووقف الحاكم أماكن فى فسطاط مصر وجعل بعضها لدار العلم

وكان الخلفاء الفاطميون يتخذون أعياداً ومواسم تتسع بها أحوال الرعية وتكثر نعمهم فاولها موسم رأس السنة ثم يوم عاشوراء وكانوا يتخذونه يوم حزن تتعطل فيه الاسواق ويعمل فيه السماط العظيم المسمى سماط الحزن وكان يصل الى الناس منه شىء كثير وذلك تذكارا لمقتل الحسين بن على بن أبى طالب . ثم المواليد الستة وهى مولد النبى صلى الله عليه وسلم ومولد على بن أبى طالب وابنيه الحسن والحسين وابنتها فاطمة ومولد الخليفة القائم بالامر . وكان لهم فى شهر رمضان عدة أنواع من البر

وبالجملة فقد كانت مصر فى العهد الاول والاوسط من

الدولة الفاطمية بهجة نضرة أهلها مسرورون متمتعون بالرفاهة لقوة دولتهم وانصرافها الى الخير وعمله فلما ضعف أمر الدولة من أيام المستنصر ووجد الوزراء المتغلبون ظهر الضعف فى الاحوال عامة وخصوصا بعد الشدة العظمى التى حصلت فى مصر

الدرس الثامن والثلاثون

الدولة الايوبية

تنسب هذه الدولة الى أيوب بن شادى الكردى وكان فى أول نشأته فى خدمة زنكى والد محمود نور الدين ثم صار فى خدمة نور الدين بعد وفاة زنكى ولما عظمت مملكة نور الدين فكان له الشام وحلب وكثير من أرض الجزيرة استنجد به خليفة مصر الفاطمى لدفع الافرنج عن مصر فارسل له جنداً بقيادة أسد الدين شيركوه بن شادى عم صلاح الدين فجاء مصر ودفع عنها غارات الافرنج وقتل شاور الوزير وتولى

هو وزارة العاضد ومات بعد شهرين من وزارته فخلفه فى الوزارة ابن أخيه صلاح الدين يوسف بن أيوب وكان يخطر بفكره أن يقطع خطبة الفاطميين ويخطب لبنى العباس ببغداد وقد نفذ فكرته ودعا للخليفة المستضئ ولم يلبث العاضد ان توفى وانتهت دولة الفاطميين فتسلم صلاح الدين مصر باسم سيده محمود نور الدين . ولما توفى محمود نور الدين سنة ٥٦٩ انفرد صلاح الدين بملك مصر ثم أضاف لها بعد بلاد الشام وكان له عسكر من الاكراد بمصر . ولما استتب له الامر التفت الى اصلاح البلاد وأمر باسقاط المكوس التى حدثت فى أواخر الدولة الفاطمية وكتب بذلك عهداً (منشوراً) من انشاء كاتبه القاضى الفاضل عبد الرحيم البيسانى وقرئ على المنابر فى مصر

وهو الذى بنى سور القاهرة بالحجر بعد أن كان مبنيا باللبن وكان القائم على بنائه الامير بهاء الدين قراقوش الخصى الحبشى وجعل عليه الابواب المصفحة بالحديد . وهو الذى ابتدأ ببناء قلعة الجبل وتم بناؤها بعده وصارت هى مقر الملك

فى هذه الدولة والتى بعدها

وفى أيامه نزل الفرنج على ثغر دمياط فسار اليهم صلاح الدين وحاربهم وانتصر عليهم وكانوا فى نحو مائتى مركب وله آثار أبنية جليلة

وأعظم أثر أسلامى له قيامه بحروب الصليبيين الذين استولوا على كثير من البلاد الشامية فاسترد منهم بيت المقدس وغيره وكان فى حروبه معهم مظفرا مع كثرة جنودهم فضلا عن معاملته بالحسنى لاسراهم وكان رجلا عادلا لم تطغه الدنيا بزخارفها حتى أنه لما توفى لم يوجد فى خزانته فضة ولا ذهب ولم يخلف قرية ولا بستانا ولا ملكا ولا ضيعة بل كان ينفق كل ما عنده فى الجهاد وأوجه البر

توفى رحمه الله بدمشق سنة ٥٨٩ وقبره بها

(٢ العزيز بالله عثمان)

بويع له بالسلطنة فى مصر بعد وفاة أبيه بعهد منه وهو أصغر اخوته وملك أخوه الافضل دمشق وملك أخوه المظفر

غازى حلب وكل هذا بأمر أبيهم ولكن كل واحد منهم كان يمنى نفسه بأن يوسع ملكه بما يأخذه من اخوته

أما العزيز فانه لم يسر فى مصر بسيرة أبيه بل سار فيها أقبح سيرة فأعاد المكوس التى أبطلها أبوه وزاد فى شناعتها وتجاهر بالمعاصى حتى حملت اوانى الخمر جهاراً فى عهده وضربت عليها الضرائب

توفى سنة ٥٩٥ ودفن عند الامام الشافعى

(٣ ـ المنصور محمد)

بويع بعد موت أبيه وكان القائم بأمر دولته الامير بهاء الدين قراقوش فساس الرعية أحسن سياسة فأحبته ودعت له وفى أيامه توفى القاضى الفاضل ولم يصف الملك للمنصور لأن عمه طمع فى ملكه فجاءه وحاربه حتى خلعه وسجنه بقلعة الجبل

(٤ ـ العادل أبو بكر بن نجم الدين أيوب)

هو أخو صلاح الدين . بويع بالسلطنة بعد خلع

المنصور في شوال سنة ٥٩٥ وفى أيامه توقف النيل عن الزيادة فحصل قحط ووباء ذهب فيه اكثر الاهالى ووصل سعر أردب القمح الى مائة دينار . توفى بدمشق سنة ٦١٥

(٥ - الكامل محمد بن العادل)

بويع بالسلطنة بمصر بعد وفاة والده وهو اكبر اخوته وكان نائبا عن أبيه فى حياته . وفى أيامه جاء الافرنج الى دمياط وملكوها فسار اليهم الكامل وحاصرهم بها نحو سبعة عشر شهراً وفى مدة هذا الحصار انشأ الكامل مدينة المنصورة التى هى الآن قاعدة مديرية الدقهلية . ولما طال الامر على الفرنج أرسلوا يطلبون الامان من الكامل على أنهم يتركون دمياط ويرحلون الى بلادهم وكان ذلك سنة ٦١٩ ولما عاد الى مصر شرع فى بناء مدرسته الكاملية التى بين القصرين وكانت تسمى دار الحديث وهو الذى أنشأ القبة العظيمة على ضريح الامام الشافعى ولما ماتت أمه دفنها بضريح الامام

توفى الكامل بدمشق سنة ٦٣٥

٦ - العادل أبو بكر بن الكامل

بويع بمصر بعد وفاة والده ولما بلغ ذلك أخاه نجم الدين أيوب وكان نائبا بحلب أسرع الى مصر فى جند عظيم فحارب أخاه وانتصر عليه سنة ٦٣٦ فخلعه وسجنه

٧ - الصالح نجم الدين أيوب

بويع بعد خلع أخيه ولما تم له الامر استكثر من المماليك حتى ضاقت بهم القاهرة وصاروا يشوشون على الناس وينهبون البضائع من الدكاكين فضج منهم الناس ولما بلغ ذلك الملك الصالح بنى لهم قلعة فى الروضة بالقرب من المقياس وأسكنهم بها وسماهم المماليك البحرية وكان عددهم يقرب من الف مملوك

وهذا الصالح هو الذى أنشأ المدرسة المسماة باسمه تجاه باب الصاغة واليه تنسب بلدة الصالحية فى الشرقية

وفى عهده جاء الفرنسيس واستولوا على دمياط ووصلت طلائعهم الى المنصورة فخرج اليهم الملك الصالح ولكنه لم يتم جهاده لانه توفى بالمنصورة فكتم الجند خبر موته خوفا

من الافرنج وحملوه الى قلعة الجبل فدفن بها وذلك سنة ٦٤٧

(٨ - المعظم توران شاه)

كان حين مرض والده بحصن كيفا فارسل وراءه القواد ليحضر ويتولى الملك فحضر بعد وفاة والده ولم يظهر القواد موت الصالح الا بعد حضور ابنه فبايعوه

ولما تم لامرجد الجند فى قتال الافرنج حتى هزموهم هزيمة منكرة وأسروا ملكهم لويز التاسع وسجنوه فى دار القاضى فخر الدين بن لقمان كاتب السر بالمنصورة ووكل به طواش اسمه صبيح (والدار لا تزال للآن اثرا بالمنصورة يزورها السياح بجوار مسجد الموافى) ولم يزل هذا الملك مسجونا حتى زمن المعزاييك فاشترى منه نفسه بعد أن تعهد ألا يقصد ديار المسلمين

ولما تم هذا النصر لتوران شاه تحول من المنصورة الى فارسكور ولم يكن ذا حزم فاوحش مماليك أبيه منه وقد ظهر منه ما يدل على ارادته الفتك بهم فعاجلوه وقتلوه فى المحرم سنة

٦٤٨ وهو آخر من تولى الملك من بنى أيوب وكانت مدتهم نحو ست وثمانين سنة

شجرة الدر

بعد قتل توران شاه اتفق المماليك على تولية شجرة الدر زوج الملك الصالح وأم ولده خليل وأن يكون المعز ايبك التركمانى مدبر المملكة وهى أول امرأة فى الاسلام وليت ملكا فساست الرعية فى أيامها سياسة حسنة وكان الناس عنها راضين وكان ايبك لا يتصرف فى أمر ما الا بعد مشورتها وكانت تكتب على المراسيم فى العلامة بخطها « والدة خليل » وخطب باسمها على المنابر . وكان الخطيب يقول بعد الدعاء للخليفة « واحفظ اللهم الجهة الصالحية ملكة المسلمين عصمة الدنيا والدين ذات الحجاب الجميل والستر الجليل والدة المرحوم خليل زوجة الملك الصالح نجم الدين أيوب » وقد اعترض على هذه التولية خليفة بغداد . ولما بلغ ذلك شجرة

الدر خلعت نفسها من الملك برضاها من غير كره لها وهى صاحبة المسجد المسمى باسمها بالقرب من المشهد النفيسى

(عموميات على الدولة الايوبية)

الدولة الايوبية كانت دولة حربية قضت معظم أيامها فى الحروب مع الصليبيين بالشام ومصر، وأعظمهم أثرا فى ذلك مؤسس دولتهم وهو السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب ولم تكن الحروب بين الفريقين تخمد جذوتها وقتا ما حتى أن السلطان الصالح نجم الدين أيوب خاتمة دولتهم توفى وهو يحارب الصليبيين بنواحى دمياط وكذلك ابنه

والحروب متى ألحّت على الدول أقعدتها عن أى عمل آخر يفيد الامم صلاحا فى دنياها الا ان الهمة العالية التى امتاز بها صلاح الدين يوسف جعلته يعمل الصالح لامته مع ماهو فيه من متاعب الحرب فبنى مدارس كثيرة وقصدته العلماء من جميع الجهات فقابلهم مرحبا وهش اليهم فأفادوا الناس

ودرسوا فى المدارس التى أنشأها . ثم انه أظهر للناس شيئا من سيرة عمر فأقام ميزان العدل ورفه عن الناس بابطال المظالم التى كان الفاطميون ابتدعوها فى أواخر أيامهم ولكل هذا يذكره التاريخ أحسن الذكرى ويفتخر به المسلمون فى كل ناد

ومن الاسف أن المنافسة بين أسرته فى الملك حصلت عقب وفاته فكان الملوك بين أمرين عظيمين اولهما الوقوف أمام الصليبيين حتى لا يعيدوا عليهم الكرة فيأخذوا منهم ما تعب سلفهم فى استرداده والثانى ازاحة المنافسين ومحاربتهم فكان ذلك كله داعيا الى قلة آثارهم فى المدنية

الا اننا لا ننسى جهادهم العظيم فى رد كثير من ممالك المسلمين التى كان الافرنج قد أخذوها ووقوفهم وقفة البطل أمام الذين كانوا يريدون الاستيلاء على بلادهم من متعصبة الافرنج

الدرس التاسع والثلاثون

دولة المماليك

كان للملك الصالح نجم الدين أيوب مماليك اشتراهم ورباهم فظهرت منهم فى حروب المسلمين مع الفرنج بنواحى فارسكور ودمياط شجاعة عظيمة وصادف ان قتل عقب هذه الحرب تورانشاه بن الملك الصالح فاتفق المماليك الذين صاروا أصحاب الامر والنهى على تولية شجرة الدر زوج استاذهم . ولما انتقد خليفة بغداد على هذه التولية خلعت شجرة الدر نفسها فاتفق الرأى على أن يلى الامر كبير المماليك:

١ ـ المعزايبك

وكان بدء سلطنته يوم السبت ٢٩ ربيع الآخر سنة ٦٤٨ ولما تم له الامر تكلم بعض المماليك فى أنه لابد لهم من واحد من ذرية الايوبيين يكون سلطانا عليهم فاتفق معهم أيبك على احضار شخص من بنى أيوب اسمه يوسف

فاحضروه ولقبوه الاشرف ولم يعزلوا ايبك بل جعلوهما في الملك شريكين وكان رضا ايبك بذلك موقتا حتى اذا صال على رؤساء هذه العصابة واستحكم أمره خلع يوسف وسجنه وانفرد بالملك

ولم يطل امر ايبك فان شجرة الدر التي كانت زوجة له استوحشت منه فأمرت الخدام بقتله فقتلوه سنة ٦٥٦

(٣ ـ المنصور علي)

هو ابن ايبك تولى بعد قتل أبيه وعمره ١١ سنة فصار يدبر أمره الامير سنجر الحلبي وكان وزير مصر هبة الله بن صاعد وفي أيامه كان استيلاء هولاكو التتري على بغداد وقتل الخليفه المستعصم وقد بلغ ذلك مصر وبلغهم أن التتر يريد المجيء الى حلب لاخذها من أيدي المصريين فرأى كبار المماليك ان السلطان صغير عاجز عن التدبير وأنهم في حاجة الى قوي يدبر أمرهم فاتفقوا على خلعه بعد سنتين وثمانية أشهر

﴿ ٣ ـ المظفر قطز ﴾

اتفق المماليك على توليته بعد خلع المنصور وأصله من مماليك المعز أيبك وكانوا إذ ذاك فى حاجة لرد هذا العدو عن بلادهم سيما وقد بلغهم أن مقدمات جيوشه شارفت دمشق وكاتب هولاكو ملك مصر يطلب منه الطاعة والخضوع ويذكره بما فعله بجميع الممالك التى مر عليها فأعد قطز لمحاربة التتار جيشا قابل العدو على عين جالوت فانهزم التتار هزيمة شنيعة وهذا أول انكسار صادفوه بعد أن فعلوا ببلاد المسلمين ما فعلوا ثم حصلت بينهم واقعة ثانية على بيسان وكان النصر فيها للمصريين

وبينما كان قطز عائداً الى مصر وهو ظافر غانم اذ اتفق جماعة من المماليك على اغتياله قرب الصالحية ففعلوا. وكان قتله رحمه الله سنة ٦٥٨ وقاتله الذى تولى بعده :

﴿ ٤ ـ الظاهر بيبرس ﴾*

ولى بعد قتل قطز وأصله مملوك للصالح نجم الدين وقد

عد من مساويه قتله للمظفر قطز من غير جناية جناها بعد قيامه بالدفاع عن البلاد دفاعا حسنا . ولم يكن هناك حين سلطنته خليفة عباسى يوليه كما كانت العادة فتكلم الناس فى ذلك فاتفق أنه حضر سنة ٦٦٠ شخص من بنى العباس هاربا من التتر اسمه احمد فتلقاه بيبرس وأثبت نسبه أمام جمع من علماء مصر فبايعوه بالخلافة ثم بايع هو بيبرس بالسلطنة فصار بالبلد سلطان وخليفة يخطب باسمهما وينقش على النقود وتلقب الخليفة الحاكم بامر الله وهو جد الخلفاء الذين ظلوا بمصر فى مدة المماليك أجمعهم ولم يكن له شىء من السلطنة وغاية الامر أن يقوم السلطان بمعاشه وكان الخليفة فى بعض الاحيان يكتفى بما يصله من النذور التى يحضرها الناس لمقام السيدة نفيسة وباسم الخليفة سمى الخط المشهور بمصر بخط الخليفة لانه كان يسكن فيه

ومما أحدثه الظاهر بيبرس أنه ولى فى مصر قضاة أربعة من كل مذهب قاض له نواب وكان قضاء القضاة قبل ذلك لواحد شافعى فقط وله نواب ينوبون عنه من المذاهب الثلاثة

وقد أبطل الظاهر كثيراً من المنكرات بمصر وشدد فى ابطالها وبنى الجامع الكبير المسمى باسمه خارج الحسينية . وافتتح كثيراً من بلدان سواحل الشام التى بيد الافرنج كقيسارية وانطاكية وغيرهما

وجدد عمارة المسجد النبوي وجدد بمصر والشام كثيراً من العمائر والقناطر وهو الذى حفر بحر أشمون طناح (بمديرية الدقهلية)

وقد وضع الناس باسمه قصصا خرافية لا يزال للآن بعض (المحدثين) يقرؤها فى القهوات البلدية . توفى سنة ٦٧٦ بدمشق ودفن بها

(٥ ـ السعيد محمد)

هو ولد الظاهر بيبرس ولاه المماليك بعد موت أبيه فاستوحش الامراء منه لانه شرع فى القبض عليهم فاجتمعوا عليه وحاربوه فخلع نفسه من الملك بعد سنتين

(٦ ـ العادل سلامش)

هو ابن الملك الظاهر ولاه المماليك بعد خلع أخيه وعمره

سبع سنين ونصف وكان يدبر أمره قلاون الالفى وقد بقى على ذلك نحو خمسة أشهر ثم طمع قلاون فى السلطنة فخلع العادل وملك هو

(٧ ـ المنصور قلاون)

ولى بعد خلع العادل سلامش سنة ٦٧٨ وأصله مملوك للصالح نجم الدين أيوب وقد بقيت سلطنة مصر فى أولاده وأحفاده حتى انتهت دولة المماليك الاولى وقلاون هـذا هو الذى بنى القبة التى بين القصرين والمدرسة وسماها البيمارستان وتعرف الآن بجامع قلاون ولا يزال للآن به عيادة رمدية يقوم بها ديوان الاوقاف . وكان قلاون ينفق عليه نفقات جليلة

وقد افتتح من يد الافرنج الصليبيين المرقب وجبلة

توفى قلاون سنة ٦٨٩ ودفن بقبته التى بمسجده

(٨ ـ الاشرف خليل)

هو ابن قلاون ولى بعد أبيه وهو الذي قاتل الافرنج

بعكا وأخذها منهم سنة ٦٩٠ مع حصانة أسوارها ولما افتتحها هدم سورها وقلعتها ومن هناك توجه الى جبت وبيروت فافتتحهما ونُقل من آثار عكا شيء كثير الى مصر . ومن جملة ما نقل منها الباب الرخام الابيض الذى على المدرسة الناصرية التى بين القصرين وفى سنة ٦٩٣ ثار عليه أحد الامراء فاغتاله وهو متصيد فقتله ثم حمل بعد ذلك ودفن فى مدرسته التى بالقرب من مزار السيدة نفيسة

(٩ ـ الناصر محمد بن قلاون)

اتفق الامراء على ولايته بعد أخيه الاشرف وعمره تسع سنين . وبعد سنة من ولايته رأى بعض الامراء أن السلطان صغير فلا يصلح لسياستهم ولا بد اذاً من خلعه وتولية رجل يدبرهم فخلعوه وولوا :

(١٠ ـ العادل كتبغا)

وأصله من سبايا التتار أخذه المنصور قلاون في وقعة له معهم . وحصل فى زمنه جوع شديد بمصر لضعف النيل

فانه لم يزد عن ١٢ ذراعا ثم هبط وأعقب ذلك الجوع فناء عظيم

وفى سنة ٦٩٦ خرج العادل الى الشام فثار بمصر أحد الامراء وخلع العادل وأخذ الملك لنفسه وهو :

(١١ ـ المنصور لاچين)

وفى بدء ولايته عمر جامع أحمد بن طولون وكان خرابا بغير سقف مدة مديدة . وفى سنة ٦٩٨ اتفق جملة من الامراء على قتل المنصور لاچين فقتلوه وهو يلعب الشطرنج

واتفقوا على اعادة (الناصر محمد بن قلاون) وكان منفيا بالكرك فأرسلوا اليه فحضر وتولى السلطنة ثانيا وكان له مع ملك التتار وقعة هائلة بنواحى حلب حينما أراد اعادة الكرة لاخذ الشام فانتصر الناصر والمصريون فيها انتصاراً باهراً

وقد مكث الناصر فى هذه المرة عشر سنين وفى آخرها خلع نفسه واختار الاقامة بالكرك . فاشتور الامراء فيمن يولونه وقرارهم على تولية المظفر بيبرس الجاشنكير

﴿ ١٢ ـ المظفر بيبرس الجاشنكير ﴾

وهو من مماليك السلطان قلاون ولم يكن فى سيرته محمود افكثرت الفتن بمصر وكان وجود الناصر بالكرك شجى فى حلقه فارسل اليه يهدده فكان ذلك باعثا لتطلع الناصر الى العودة ثالثا الى ملكه وساعده على ذلك كثير من الامراء والاجناد ولما علم بذلك بيبرس خلع نفسه من الملك

وعاد الناصر الى ملك مصر ثالث مرة سنة ٧٠٩ وقد استمر فى هذه السلطنة سلطانا على مصر حتى سنة ٧٤١ اى نحو ٣٢ سنة فيكون مجموع مدته فى سلطان مصر ٤٣ سنة وهى مدة لم تتفق لاحد من ملوك مصر فى عهد هذه الدولة بل ولا فى غيرها الا ما كان من المستنصر الفاطمى

ومدة الناصر من أحسن أيام هذه الدولة بمصر فقد انشأ بها عمائر جليلة وهو الذى أجرى الماء الى قلعة مصر وسيرها فى مجراة تمر على عقود هائلة من البحر الى القلعة ولا تزال آثارها موجودة للآن ترونها اذا كنتم فى جهة فم الخليج

وحفر خليجا سماه باسمه يأخذ من النيل ويصب فى الخليج الحاكى الكبير عند زقاق الكحل . وحفر البركة الناصرية وأجرى اليها الماء من الخليج الناصرى وبنى عليها قصراً عظيماً وبجانبها ميدان كان يلعب فيه الكرة على الخيل والمدرسة الناصرية القديمة كانت فى تلك الجهة فسميت باسمه ولما انتقلت الى مكانها الجديد حفظ لها ذلك الاسم

وابطل الناصر فى زمنه كثيراً من المكوس والمظالم ولم يعهد أحد من السلاطين تولى السلطنة ثمانية من أولاده الا هو وهم :

١٣	المنصور أبو بكر	٧٤١ ـ ٧٤٢	خلع
١٤	الاشراف كجك	٧٤٢ ـ ٧٤٢	»
١٥	الناصر احمد	٧٤٢ ـ ٧٤٣	»
١٦	الصالح اسماعيل	٧٤٣ ـ ٧٤٦	توفى
١٧	الكامل شعبان	٧٤٦ ـ ٧٤٧	خلع
١٨	المظفر حاجى	٧٤٧ ـ ٧٤٨	خلع وقتل

٩٩ الناصر حسن ٧٥٢ ـ ٧٧٤ وهى السلطنة الاولى

٢٠ الصالح صالح ٧٥٢ ـ ٧٥٥ خلع

وبعد خلعه عاد السلطان الناصر حسن الى الملك مرة ثانية فأقام فى الملك الى سنة ٧٦٢ حيث ثار عليه بعض الامراء فقتلوه

وحسن هـذا هو الذي بنى تلك المدرسة العظيمة التى هى من أمتن ما أسس فى عهد المماليك وهى المسماة بجامع السلطان حسن عند القلعة وفى عهده كثرت العمائر بمصر فبنى شيخو العمرى مدرسته ومسجده المتقابلين بجهة الصليبة والمدرسة فخمة جداً ولها هيبة ورواء وجعل فيها أمكنة لطلاب العلم يأوون اليها وبنى فوقها رباعا للمتزوجين من العلماء والطلاب ووقف عليها أوقافا جليلة

وتولى من أحفاد الناصر بن قلاون أربعة وهم

٢١ المنصور محمد بن المظفر ٧٦٢ ـ ٧٦٤ خلع

٢٢ الاشرف شعبان بن حسين ٧٦٤ ـ ٧٧٨ خلع وقتل

٢٣ المنصور على بن شعبان ٧٧٨ ـ ٧٨٣ توفى

٢٤ الصالح أمير حاج بن شعبان ٧٨٣-٧٨٤ خلع

وأمير حاج هذا هو آخر من ولى الملك من بنى قلاون وآخر دولة المماليك الاولى وهم المماليك البحرية مماليك الملك الصالح نجم الدين أيوب

الدرس الاربعون

دولة الشراكسة

بعد خلع أمير حاج اتفق الامراء والجند على تولية

(١ - الظاهر برقوق بن أنص)

وأصله من مماليك الاتابكى يلبغا وهو شركسى الجنس وما زال يترقى حتى صار ملكا على مصر والشام وبلاد الحرمين وهو الذى بنى تلك المدرسة الجميلة الصنع المسماة بجامع برقوق فى شارع النحاسين

وقد نالته فى سلطنته خطوب من ثورة مماليكه حتى